AL-ZAHRĀ' الزهراء

Jurnal Studi Islam Komprehensif

مجلة الدراسات الإسلامية والعربية

- الإبداع المنهجي للعقل المسلم دراسة للتوجيه الإسلام لمناهج العلوم الاجتماعية
- الإسلام والعلم والتعلم
- العلوم الطبيعية بين ضرورة التأصيل وتحديات العولمة
- اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم
- الأمانة في الحكم في ضوء القرآن
- من موجبات التوحيد ترك ما ينافيه

Al-Zahrā'	Vol. 2	No. 2	Hal. 90-180	2003	ISSN 1412-226 x

ISSN 1412-226 x

AL-ZAHRÃ' الزهراء

Jurnal Studi Islam Komprehensif

مجلة الدراسات الإسلامية والعربية

Staf Ahli

Agil Mahdali (Jami'ah Islamiyah Hukumiyah Insaniyah Malaysia)
Ja'far Abd. Salam (Al-Azhar University)
Bashiri Abdel Moety Sayyid Darwish (Al-Azhar University)
Huzaemah Tahido Yanggo (UIN Syarif Hidayatullah Jakarta)
Azman Islmail (IAIN Ar-Raniri Aceh)

Penanggung Jawab
Masri Elmahsyar Bidin

Dewan Redaksi
Syaerozi Dimyati
Ahmad Dardiri
Ahmad Sayuti Nasution
Amany Burhanuddin Umar Lubis
Sahabuddin S.
Rusli Hasbi

Sekretaris Redaksi
Hamka Hasan
Willy Oktaviano

Editor Bahasa Arab/Inggris
Shalahuddin An-Nadwi

Al-Zahrã adalah media yang diterbitkan 2 edisi setiap tahun dalam bahasa Arab untuk peningkatan wawasan bidang Studi Islam. Redaksi menerima tulisan berupa artikel, laporan penelitian, atau tinjauan buku. Isi tulisan merupakan tanggung jawab penulis.

Alamat Redaksi
Fakultas Dirasat Islamiyah UIN Syarif Hidayatullah Jakarta
Telp & Faks. (+62-21) 7491820
Email :fdiazhar@yahoo.com

Al-Zahra	Vol. 2	No. 2	Hal. 90-180	2003	ISSN 1412-226x

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد زاد من إحساسنا بالمسؤولية التي حملناها على عاتقنا، يوم قررت كلية الدراسات الإسلامية التابعة لجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية إصدار مجلة "الزهراء" المتخصصة في الدراسات الإسلامية والعربية، حيث لقي عددها الأوّل ترحيبا حارا من قرّائها الكرام من العلماء والباحثين والدارسين والدبلوماسيين الذين يهتمّون بالدراسات الإسلامية والعربية سواء كانوا من داخل البلد أو من خارجه وعلى رأس من أدلى بثنائه على المجلة، الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، رئيس جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، والدكتورة منى أباظة، الأستاذة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وأعضاء سفارة جمهورية مصر العربية بجاكرتا الذين تفضّلوا بزيارة الكلية، فإليهم نوّجه شكرنا الجزيل وتقديرنا العميق، ونعتبر هذا الترحاب الحار زاد لنا على مواصلة السعي لتكون المجلة بمقدار ما يعلقون عليها من أمال.

ووفاء بسياسة المجلة التي يتركّز اهتمامها على القضايا الإسلامية جاء هذا العدد الثاني يحتوي على مجموعة من الأبحاث والدراسات الإسلامية والعربية التي يكتبها المتخصصون من الأساتذة والباحثين. وإليهم نخصّ شكرنا ونعترف لهم بأن هذه المجلة ثمرة مجهودنا جميعا، وإن كنا نقوم بتحريرها إلا أننا لا نحتكرها فهذه منبرنا جميعا نسهم ونتعاون في تطويرها.

ونتطلع واثقين إلى أن يكون هذا العدد دافعا للعلماء والباحثين المهتمّين بالدراسات الإسلامية والعربية للكتابة في الأعداد المقبلة من مجلتنا الحبيبة، فنقول "دمتم على الخير".

د. أحمد سيوطي أنصاري ناسوتيون

DAFTAR ISI — محتويات العدد

الإبداع المنهجي للعقل المسلم
دراسة للتوجيه الإسلام لمناهج العلوم الاجتماعية ١٠٧-٩٠
دكتور نبيل السمالوطى

Kreatifitas Metodologi Nalar Islam **90-107**
Dr. Nabil Samalluthy, MA

الإسلام والعلم والتعلم ١١٥-١٠٨
بقلم الدكتور/ أحمد عبد الرحيم

Islam, Ilmu, dan Pengajaran **108-115**
Dr. Ahmad Abd. Rahim

العلوم الطبيعية بين ضرورة التأصيل وتحديات العولمة ١٢٧-١١٦
أ.د. علي الطاهر شرف الدين

Ilmu Alam antara Revitalisasi dan Globalisasi **116-127**
Prof. Dr. Ali Thahir Syarifuddin

اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم ١٥٥-١٢٨
د. عبد الرحمن بن جميل بن عبد الرحمن قصاص

Perhatian Islam terhadap Ilmu dan Ulama; Sebuah Studi Al-Quran **128-155**
Dr. Abd. Rahman Jamil bin Abd. Rahman Qishash

الأمانة في الحكم في ضوء القرآن ١٧٢-١٥٦
أحمددين أحمد طهار

Amanat Pelaksanaan Hukum menurut Al-Quran **156-172**
Ahmaddin Ahmad Tohar, Lc, MA

من موجبات التوحيد ترك ما ينافيه ١٨٠-١٧٣
بقلم / حسن بصري سال

Konsekuensi Tauhid kepada Allah swt adalah Meningglkan Larangan-Nya **173-180**
Hasan Basri Salim, Lc, MA

الإبداع المنهجي للعقل المسلم
دراسة للتوجيه الإسلام لمناهج العلوم الاجتماعية*

دكتور نبيل السمالوطى**

Abstrak

Ada perbedaan perspektif antara Islam dan Barat tentang metode Ilmiah. Hal ini bertolak pada upaya Barat untuk membingkai ilmu dalam bingkai materialistik. Makalah ini memaparkan tentang pokok-pokok pikiran intelektual Muslim dalam metode ilmu-ilmu sosial. Dalam pembahasannya, penulis membaginya dalam beberapa sub pembahasan, yaitu: perspektif islam tentang metodologi berpikir; visi, misi dan batasan metodologi ilmu-ilmu sosial; reformasi metodologi dan teori yang dikembangkan umat Islam dalam ilmu-ilmu sosial, wahyu sebagi dasar epistimologi ilmu-ilmu sosial, realitas hukum-hukum sosial yang bersandar pada wahyu, dan keutamaan nilai-nilai Islam terhadap metodologi studi ilmu-ilmu sosial.

---

*مقالة مقدمة للمؤتمر الدولي "الإسلام والمنهج العلمي" بجامعة شريف هحداية بجاكرتا ٢٣ – ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٣ م

**أستاذ بجامعة الأزهر

المنهج العلمي وأهمية توجهه إسلاميا (القضايا الرئيسة)

يختلف الباحثون المفكرون في تحديد المقصود بالمنهج في الدراسات العلمية, ولهذا يجب البدء بتحديد المقصود بالمنهج وفك هذا الاشتباك تحريا للدقة المطلوبة. وهناك عدة أمور يجب التنبيه إليها في هذا الصدد.

أولا: يعالج علماء الغرب العلم في إطار التصورات المادية, ويعبر (جيمس كونانت) عن هذه النظرة الغربية بقوله (العلم هو سلسلة متصلة من الحقائق والمفاهيم العلمية تم الحصول عليها من الملاحظة والتجربة).[1] ولا شك أن هذه نظرة ضيقة للعلم. فالعلم يتضمن التعرف على الواقع المادي, وعلى حقائق الوحي وهو ما يتضمنه العلوم الشرعية,وقصر العلم على الواقع المادي تجاهل للدين ولحقائق الوحي, وهي المعرفة الوحيدة اليقينية في نظر المؤمنين وبينما تكون المعارف المادية الاجتهادية معارف ظنية قابلة للتكذيب والتغير والتطور.

ثانيا: يختلف الباحثون في تحديد المقصود بالمنهج. فإذا كان المنهج لغة هو الطريق الواضح المستقيم, فإن المعنى الاصطلاحي عند علماء المناهج, غيره عند بعض الكتاب والفلاسفة والمفكرين. فعلماء المناهج أو فلاسفة العلم يقصدون بالمنهج, أو المناهج (الجمع), مجموعة طرق البحث العلمي التي يستخدمها الباحثون للاجابة عن تساؤلاتهم أو تحقيقا لفروضهم, وصولا إلى إجابات لهذه التساؤلات, أو اختبار للفروض, ومعرفة الحقائق. كذلك فإن المناهج تستخدم على أنها طرق البرهنة على صحة قضية أو فكرة معينة.

ولكن مصطلح المنهج قد يستخدم ليقصد به أشياء أخرى, مثال ذلك الخطوات الاجرائية التي يستخدمها الباحث في أي علم من العلوم, أو طرق عرض وطرح الأفكار والمعلومات التي يريد الباحث أن يقدمها, أو أسلوب الكاتب في معالجة وتناول قضية أو موضوع أو أمر من الأمور, أو المقرر الدراسي المبرمج الذي يدرسه الطالب...الخ

ثالثا : إذا كان أغلب كتاب وفلاسفة المناهج في الغرب يقرنون المنهج بمنطق الكشف العلمي Logic of scientific discovery[2] فأننا سوف لاستبعد هذا التصور, ولكننا نراه قاصرا على العلوم الكونية والواقعية فقط ويستبعد بالتالي العلوم الشرعية القائمة على حقائق الوحي. ولهذا فإننا سوف تستخدم مصطلح المنهج ليشير إلى مجموعة الطرق والعمليات العقلية التي يستخدمها الباحث للوصول إلى:

ا. الإجابة عن تساؤلات (تتطلب الرجوع إلي الواقع واستخدام الملاحظة والتجربة والمقارنة...الخ, أو تتطلب الرجوع إلي نصوص يقينية وهي القرآن الكريم والسنة المطهرة, أوتتطلب فحص تحليلي أو نقدي لآراء ونظريات أو مذاهب مطروحة, مثل الدراسات الفقهية أو المذهبية أو نظريات العلوم

الاجتماعية,..أو تتطلب الرجوع للعقل السليم أو ما يعده العقل بديهيات ومسلمات تتفق عليها العقول السوية, أو استنباط نتائج من مقدمات أو من مسلمات أو بديهيات.

ب. **تحقيق فروض أو حلول مؤقتة لمشكلات علمية. والتحقيق هنا يشير إلى** اختبار مدى صحة أو كذب هذه الفروض وسواء من خلال الرجوع إلى الواقع (ملاحظة أو قياس أو تجربة أو مقارنة ...) أو الرجوع إلى التاريخ والوثائق, أو الرجوع إلى الدراسات الواقعية أو نتائج البحوث السابقة.

ج. محاولة الوصول إلى حقائق ومعلومات يقينية، وهذا لا يكون إلا من خلال الرجوع إلى مصادر يقينية، وهى الوحي ممثلا فى الكتاب والسنة.

رابعا: تتنوع الأساليب والمناهج العلمية بتغير تصور المقصود بالعلم. إن مفهوم العلم يتغير بتغير الحضارات والثقافات والأزمنة الأماكن. وهذا يعنى أن النموذج التجريبى ليس هو النموذج الوحيد الموصل إلى اليقين بشهادة الوضعيين أنفسهم.[٣] فهناك تعدد فى الأساليب العلمية، وهى كلها تهدف إلى اكتشاف الحقائق، ولا بد أن يتوافر لها عدة خصائص كالصدق والموضوعية وسلامة المصادر. يقول (إمرزيان) أن المشتغلين بالعلم يقولون أن الفكرة تكون علمية إذا كانت مطردة مهما اختلفت الظروف الزمانية أوالمكانية، وتكون علمية إذا كانت صادقة فى إخبارها بحيث تكون مطابقة للواقع، سواء أكان هذا الواقع ملموسا وملحوظا أو تاريخيا، وتكون علمية إذا كانت موضوعية بمعنى أنها مجردة من الأهواء الشخصية والتخمينات الذاتية، وكانت بالتالى مؤسسة على حجج أو أدلة، سواء أكان هذا الدليل استنتاجيا أو استنباطيا أو تجريبيا أو تاريخيا مؤسسا على الوثائق والشهادات).[٤]

ويذهب (إمرزيان) انطلاقا من هذا النص أن هناك ثلاثة أساليب العلمية وهي:

أ. المنهج الاستنباطي الذي يتوصل إلى الحقائق العلمية الطريق الاستنتاج المنطقي. وهنا يمكن الاستناد إلى القرائن الآثار الدالة. ويتم اثبات العديد من الحقائق العلمية عن طريق هذا المنهج, سواء تلك التي تتصل بعالم الغيب أو عالم الشهادة. وينبهنا القرآن الكريم إلى هذا المنهج عندما يدعو المؤمنين إلى تدبر الآيات الكونية والنفسية (في الآفاق وفي النفس) لأنها كلها تؤكد وجود الحق سبحانه وتعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (فصلت ٥٣) وهذا المنهج ينتقل فيه الباحث من العام للخاص أو من الكلي إلى الجزئي.

ب. المنهج الاستقرائي التجريبي الذي يعتمد على تحقيق الفروض والتفسيرات من خلال ملاحظة الواقع وأجراء التجارب والمقارنات وصولا

إلى التعميمات والقوانين الحاكمة للظواهر في ظهورها واختفائها وتغيرها. وقد كان الوحي هو أكبر دافع للعلماء المسلمين للبحث في الكون والإنسان واكتشاف هذا المنهج التجريبي بالشكل العلمي (يرجع كتابات جابر ابن حيان وابن الهيثم وغيرهما من علماء المسلمين).

ج. المنهج التاريخي أو الاستردادي الذي يستند إلى الوثائق التاريخية المحققة بالأساليب المتفق عليها, ولعد تنقيتها من الأخطاء والانحيازات ضمانا للصدق. وادق النماذج المشرقة على هذا المنهج منهج المحدثين من خلال أساليب تخريج الأحاديث وعلوم الرجال والجرح ولتعديل... الخ

ويذهب (أمرزيان) إلى أن الميثودولوجيا الإسلامية تضيف إلى هذه المناهج. منحهجا رابعا حاكما ويقينا وهو المعلومات الراجعة إلى الوحي. كل هذا يعني خطورة وخطأ قصر العلمية على الوضعية الحسية. فالوضعية عاجزة عن التعامل مع حقائق الماضي والمستقبل ومع حقائق ما وراء المحسوسات ومع قضايا الاعتقاد والأخلاق وهي ذات أهمية كبرى في الدراسات الاجتماعية.

خامسا: مناقشة قضية منهجية العلوم الاجتماعية تثير بالضرورة علاقة الذات بالموضوع وهو ما سبق أن ناقشناه تحت عنوان الموضوعية والحيدة العلمية. فأغلب علماء الغرب سواء من أنصار المدرسة الوظيفية والبنائية وما تفرع عنها من مدارس (سلوكية, رمزية, تفاعلية –فعل اجتماعي) أو من أنصار المدرسة الصراعية وما تفرع عنها (راديكالية وماركسية محدثة) يؤكدون ضرورة دراسة الواقع استنادا إلى اطار تصوري واضح للإنسان والمجتمع والثقافة والتغير والتاريخ... وكما يشير أغلب نقاد علم الاجتماع في الغرب (زايتلن, وجولدنر, وماز... الخ) فإن الاجتماع ذاته لم ينشأ في الغرب إلا كنظام أيديلوجي قصد به الدفاع عم الغرب الرأسمالي في مواجهة التوجهات الماركسية والحركات والاشتراكية والأحزاب الشيوعية[٦] والدفاع عن طبق طبقة الرأسماليين في مواجهة الاقطاعيين" ويذهب (ماز) و(زايتلن) إلى أن النظام الاقتصادية الكساسيكية والجوانب الميتافيزيقية الفلسفية التي تتصل بالقانون الطبيعي Natural Law (لوك ورسو)والأخلاق النفعية utility tarianisme (بنثام) والاتجاه العلمي (البراجماتية Pragmatism) هي التي شكلت الايديولوجية التي دافع عنها علم الاجتماع الغربي منذ نشأته حتى الآن.[٧] وقد أدت الفلسفة الماركسية بما بنى عليها من علم اجتماع راديكالي إلى دمار المجتمعات التي أخذت بها, كذلك فإن المناهج الغربية في فهم الإنسان والمجتمع المرتكزة, على منطلقات مادية زادت من شقاء وأزمات الإنسان والمجتمعات الغربية, وأدت إلى مزيد من الأزمات النفسية.(تزايد معدلات انتحار وجرائم وإدمان...)

وأسرية (تفكك وتفسخ في العلاقات) واجتماعية(سيادة الطابع المادي) وروحية(انعدام الأمن والبركة).

وهكذا فشلت المناهج الوضعية التي تنطلق من منطلقات مادية, ومن الاعتماد علي المصادر الحسية للمعرفة, والتي تنطلق مما أطلق عليه (الفين جولدنر) الفروض الضمنية فلسفية أوإيديولوجية أو مصلحية Domain Assumptions,[٨] وقد أدت كل هذه المناهج التي استبعدت الوحي –عقيدة وشريعة وأخلاقا وضوابط, أدت إلى دمار الإنسان والمجتمعات, وافتقاد المعنى والأمن والهدف, وأدت إلى كل أشكال الاغتراب والضياع, حتى وسط مجتمعات الوفرة المادية المسرفة.

سادسا: كل هذا يؤكد أن الفهم والدراسات الغربية في علم الاجتماع لم تحسم قضية منهج منطلقات دراسة الإنسان والمجتمع والتاريخ والمستقبل. وكما يذهب (رايموندريس) عالم الاجتماع الأمريكي المعاصر فإن العلوم الاجتماعية التي تدعى الموضوعية لم تعد تكفي الإنسان المعاصر, لأنه يسعى دائما لايجاد حلول لمشكلاته المادية والاجتماعية والروحية والنفسية, وهو يبحث باستمرار عن توجيهات اخلصه من محنته الدنيوة المادية, وهو في حاجة إلى استجلاء معنى الحياة والوجود والإنسان.[٩]

وهذا هو ما ذكره (رايت ملز) عند ما أشار بأسف إلى أن علم الاجتماع يحتاج لدفعه إصلاحية وتوجهات قادرة على انقاذ الإنسان والمجتمعات Reforming push[١٠] فعلم الاجتماع في نظره فشل في إبراز والدفاع عن قضايا الحرية والعدالة والترشيد, وهذا ما يؤكده (جنر ميردال) الذي يؤكد في دراسته (العلاقة بين النظرية الاجتماعية) حاجة علماء الاجتماع إلى وجهات نظر قادرة على تحقيق حرية الإنسان وأمنه وتقدمه.[١١] كل هذا ناجم عن انطلاق المناهج والدراسات الغربية من إيديوجيات مادية ونفعية وبراجماتيه ومصلحية بعيدة جدا عن الاسترشاد بالوحي والهدي الإلهي. ومن هنا فإن من اعتماد الوحي مصدرا للمعرفة والتوجيه والتنمية في العلوم الاجتماعية, يعد أساسا جوهريا لتخليص هذه العلوم من أزماتها النظرية والمنهجية والتطبيقية.

سابعا: إذا كان المنهج العلمي هو منهج التكذيب, وهو الذي يستهد الوصول إلى تعميمات بصدد موضوعات الدراسة, وتحقيق الفروض في مجالات الدراسات الواقعية. وإذا كان العلم القائم على منهجية علمية يسعى التفسير والوصول إلى القوانين التي تحكم الظواهر المدروسة, ومن ثم التنبؤ بها تمهيدا, وتوجيهها بما يخدم التطبيقات المفيدة للإنسان والمجتمع, فإن مقياس نجاح المنهج, هو تحقيق أهداف العلوم الواقعية, التفسير, ثم التنبؤ, ثم التحكم, وهذا يعني أن

المنهجية في الدراسات الاجتماعية لا تنطبق عليها الشروط الكاملة للمنهجية العلمية من جهتين, الأولى تعدد المناهج والصراع بين أنصار المنهجيات المتعددة (جدلي –وظيفي- مني- كيفيح- قياسي- مناهج فهم- نزعة شيئية-نزعة فينومينولوجية... الخ). والثانية عدم الوصول إلى قوانين تحكم الظواهر أو إلى تعميمات متفق عليها بين أنصار المدارس المتصارعة, وحتى بين أنصار المدرسة الواحدة. وإذا كانت العلوم الطبيعة تميز بين ما هو واقعي Evedential وما هو قيمي Evaluative[12] فإن هذا صعب التحقيق في العلوم الاجتماعية. فالعلوم الطبيعية علوم تصل إلى القوانين العامة المتفق عليها والحاكمة للظواهر المدروسة Nomohetic وتستخدم ما يطلق عليه (بوير) المناهج الإسمية أو الإسمية المنهجية Methodological Nominalism, أما العلوم الاجتماعية فهي علوم تسعى إلى وصف الأنماط والحالات ومقارنتها Idiographic, وتهتم بالماهوية المنهجية Methodological Essencialism[13] حيث تبحث عن ماهية الأشياء وتحاول فهمها (العدالة- التضامن- الانحراف- التفكك...الخ) وهي مفاهيم يختلف مضمونها من مجتمع إلى آخر بحسب الاختلافات العقائدية والثقافية والقيمية والتاريخية ...الخ.

ثامنا: يقاس المنهج بكفاءته في تحقيق الأهداف – وهي هنا التفسير والفهم, كما يقاس بمد كفاءة ما يترتب على النتائج التي يصل إليها العلم من تطبيقات ونظريات. وهنا يشترط ارتباط غايات التطبيق بالقيم, حيث تحقق الخير لا الشر, وتنشر العدل لا الظلم, وتودي إلى البناء لا الهدم, وتدعم الحرية والعدالة والأخاء وليس الظلم, وتحافظ على كرامة الإنسان كإنسان ولا تؤدي إلى دماره. والمشكلة في العلوم الاجتماعية أمران: الأول: إن هذه المفاهيم (عدالة-حرية- إنسانية-...) مختلف على تحديد مضامينها بين المدارس والنظريات وبين علماء الاجتماع. والثاني أن بحوث علم الاجتماع تنصب مباشرة على التعامل مع هذه المفاهيم ومع مسلمات تتعلق بها, ومع تطبيقات تمس ماهية هذه الأمور, وهنا تختلف العلوم الاجتماعية عن العلوم الطبيعية. فالعلوم الطبيعية تتعامل مع موضوعات خارجية متفق على تحديدها بين كل المشتغلين بالعلم بغض النظر عن الاختلافات والثقافية والعقائدية والإيديولوجية والمكانية والزمانية.. هذا إلى جانب أن هذه العلوم الطبيعية تصل إلى قوانين وحقائق محايده, ولا يظهر التوجه العقادي أو الثقافي أو القيمي أو الإيديولوجي إلا في مجال التوظيف واستخدام هذه النتائج – لصالح كل الناس أم لمصالح فئة معينة, كل الشعوب أم شعوب محدده لتحقيق التقدم والرخاء للجميع, أو تقدم ورخاء البعض ودمار البعض ... الخ.

والعلوم الطبيعية (فزياء – كيمياء–طب–هندسة...) وصلت إلى نتائج مفيدة ومقنعة استفاد منها الإنسان, من خلال المناهج التجريبية العلمية. أما العلوم الاجتماعية فنستطيع الحكم على كفاءة مناهجها من خلال ما انتهت إليه من نتائج تمس حياة الناس الغرب والشرق.

ونظرة مدققه في أحوال الناس الاجتماعية في الغرب تبين فورا طبيعة الأزمة العميقة التي يعانيها الناس هناك مقاسه بمعدلات بالتفكك الأسري والاجتماعي والنفسي, وشعور الناس باللامعنى والاحباط وارتفاع معدلات الانحراف والادمان والجرائم والأمراض النفسية والاغتصاب والانتحار وانعدام الأمن المادي والمعنوي أو الروحي وانعدام البركة...الخ.

تاسعا: كل العلوم الاجتماعية تنطلق من مسلمات لفهم وتفسير الواقع, ومصدر هذه المسلمات, إما فلسفات وضعية متغيرة وقاصرة ومنحازة لفئات ومصالح وأغراض محددة (سواء بشكل شعوري أو لا شعوري), وإما ديانات سماوية, والدين الخاتم هو الإسلام. وعندما انتقل علم الاجتماع – موضوعا ومنهجا من الحضارة الإسلامية إلى الغرب, فصلوا هذا العلم عن منطلاقات الإسلامية, واستبدلوا بها منطلقات وضعية, الأمر الذي أدى إلى انحراف بعض النظريات, والتطبيقات.[١٤] ولم تستطع تطبيقات علم الاجتماع اسعاد إنسان الغرب ولا تحقيق أهدافه في بناء مجتمع متكامل تسوده العدالة والأخوة والتضامن ونقل فيه الانحرافات والأزمات إلى أقل حد ممكن. ولهذا فإننا نرى أن التأصيل والتوجيه الإسلامي لعلم الاجتماع منهجا وتنظيرا أصبح ضرورة ملحة, وهذا يعني الانطلاق في دراسة المجتمع من الثوابت والحقائق الإسلامية مستمدة من الكتاب والسنة. وهذا يعني تصحيح مسار علم الاجتماع وعودته إلى جذوره الإسلامية التي أسسها عليها عبد الرحمن ابن خلدون الذي اشتق عنوان العلم (علم العمران) من عمارة الأرض وهي إحدى وظائف الإنسان. كما أرادها الخالق بقوله تعالى {هو انشاكم من الأرض واستعمركم فيها} (هود:) هذا التوجيه الإسلامي للعلم بانطلاقه من الثوابت والحقائق الإسلامية, يضمن استقامة المنهج والفهم والتطبيق, ويضمن سيادة قيم العدالة والإخاء والحق والحرية والتكافل وتحقيق السعادة الحقيقية للإنسان والقوة والتنمية الحقيقية للمجتمعات. وهذه هي منتهى أهداف العلوم الاجتماعية, وهذه العلوم تبعثر في الوصول إليها لغياب المنطلقات المنهجية والنظرية السليمةو نتيجة لسيادة الهوى والمصالح الفردية والطبقية والفئوية والايديولوجيات والفلسفات المتحيزة والفاسدة, أو على أحسن تقدير الاجتهادات غير المرشدة.

عاشرا: المنهج الوضعية وإن كانت تنطلق من مسلمات فلسفية أواصلاحية, إلا أنها قاصرة على دراسة ما هو خاضع للإدراك الحسي وللدراسة الواقعية, وهذا

المصدر المعرفي قاصر هو الاجابة عن تساؤلات أساسية في علم الاجتماع, مثل تلك التي تتصل بطبيعة الإنسان ووظائف, ونشاة المجتمعات, ونشأة الأديان, وعوامل الصراع, وأهم مرتكزات التكامل والصراع, وأهم مرتكزات الأمن النفسي والاجتماعي, وطبيعة الانحراف وأهم سبل مواجهة المشكلات والأزمات واصلاح الانسان والمجتمع ...الخ. ولهذا فإن المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع يؤكد على مصدرية الوحي كأساس حاكم يمد العلوم الاجتماعية بمنطلقاتها وبمجموعة من الحقائق التي لا يمكن الوصول إليها من خلال الدراسة الواقعية, وكمصدر أساس يوظف المصادر المعرفية الأخرى.

موقف الإسلام من المناهج أو طرق التفكير والبحث المنهج هو مجموعة العلميات العقلية (استقراء أو استنباط أومقارنة أو رجوع إلى نصوص ...الخ) التي تستهدف من ورائها:

ا. الوصول إلى حقائق أو أحكام – سواء في أمور الدين أم أمور الدنيا.
ب. الاجابة عن بعض التساؤلات المطروحة في كل علم من العلوم.
ج. تحقيق بعض الفروض بمعنى الكشف عن مدى صدق الفرض أو كذبه استنادا إلى هذه العمليات.

والإسلام له منهجه الفريد في هذا الصدد. فقد أرسل الله رسله إلى أقوام ومجتمعات متعددة. كل منها لها مناهجها في التفكير, أوطرقها في التفكير والإجابة عن التساؤلات والوصول إلى ما يعتبرونه حقائق. وهذا ناشئ عن تعدد ديانات وثقافات وظروف هذه الأقوام والجماعات والمجتمعات. ولهذا اعتمد المنهج الإسلامي في بيان الحق وطرق التفكير السليمة على خطوتين هما:[١٥]

الأولى: هدم طرق التفكير أو المناهج غير الصحيحة التي كانت تستخدمها هذه الأقوام والجماعات وبيان فسادها.

الثانية: ابراز الطرق الصحيحة أو المنهج السليم الموصل إلى المعلومات الصحيحة.

(الهدم والبناء، هكذا يؤكد الإسلام أهمية التخلية والتحلية، التفكيك والتركيب، الرفض والقبول، وهذا ما يتضمنه أول أركان الإسلام (لا إله إلا الله) وهذا ما يفهم من قوله تعالى {...فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا...} (البقرة/٢: ٢٥٦)

وقال تعالى مبرزا لأهمية المنهج كطرق التفكير السليم {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ...} (الحديد/٥٧: ٢٥). فقد أرسل الله رسله بالحقائق والميزان الثابت وطرق التفكير السوية التي ترجع إليها البشرية لتقويم الأعمال والأشياء والرجال، وتقيم

عليها حياتها في مأمن من أساليب التفكير الفاسدة. ومن الأهواء وتصادم المصالح والمنافع. ميزان لايحابي أحدا لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع، ولا يحيف على أحد لأن الله رب الجميع.[١٦]

وأهم المناهج وطرق التفكير التي اهتم الإسلام ببيان فسادها وضرورة التخلي عنها يبرزها الوهيبي فيما يلي:[١٧]

أولا: الفهم السحري والخرافي للكون ومظاهر الحياة الطبيعية والاجتماعية ومنها الاستعانة بالجن، والتطر، والسحر. يقول تعالى: { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} (الجن/٧٢: ٦) وقال تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ...} (البقرة/٢: ١٠٢) وقال تعالى: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (يس/٣٦: ١٨).

ثانيا: تعطيل وسائل الفهم الصحيح والاستدلال المنتج فإذا كان الله خلق للإنسان الحواس والعقل والقلب مصادر للمعرفة وأدوات للوصول إلى الحقائق فالكثير من الناس يعطلها عن استخداماتها السوية. يقول تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (الأعراف/٧: ١٧٩). وكما يشير الوهيبي فإن أصحاب مناهج التفكير الفاسد لايسمعون { فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} (فصلت/٤١: ٤). وإذا سمعوا لا يعقلون { وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ}(الأنعام/٦: ٢٥). وإذا عقلوا لايعلمون { لَن تَدْعُوَهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ } (فاطر/٣٥: ١٤). وهكذا يكون الفرق بين المؤمنين الذين يستفيدون من الحواس والعقل كمصادر للوصول إلى المعارف الصحيحة، وبين الكفار الذين يعطلون هذه المصادر أو يوظفونها لأهوائهم ومصالحهم واخفاء الحق، كالفرق بين الأعمى والأصم والبصير والسميع. يقول تعالى: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (هود/١١: ٢٤).

ثالثا: استخدام طرق بحث وتفكير أو مناهج باطلة. وفيما يلي نماذج لها.

١. من أمثلتها القول بعصمة طائفة من الناس وصحة آرائهم دون دليل، والإسلام يؤكد على البرهان والدليل. والإسلام يؤكد على البرهان والدليل، وقد يرجع هذا الاعتماد المطلق على آراء وأقوال بعض الناس دون برهان إلى عظمهم في النفوس كالآباء والأجداد، أو إلى وجاهاتهم

الاجتماعية ومناصبهم كالزعماء السياسيين أو إلى قداستهم ومكانتهم الدينية كالأطباء والرهبان يقول تعالى: {وَكَذَلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} (الزخرف/٤٣: ٢٣) {وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُونَا السَّبِيلا} (الأحزاب/٣٣: ٦٧) {اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُوْنِ اللهِ وَالْمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ ...} (التوبة/٣١: ٣١)

ب. رفض الوحي والاكتفاء في القضايا المعرفية الهامة بالظن والخرص والهوى والمتشابهات { ... إن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَاتَهْوَى الأَنفُسُ...} (النجم/٥٣: ٢٣). وآفة العلوم الاجتماعية في مناهجها الغربية والشرقية، الانطلاق من الهوى والايديولوجيات والمصالح ومحاولة إلباس البحوث والنتائج المتحيزة ثوب المنهجية العلمية لتضليل الآخرين.

ج. الكبر وبطر الحق بعد ظهوره نتيجة لسوء الفكر {... وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لاَيُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَيَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ...} (الأعراف/٧: ١٤٦). وقال تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا...} (النحل: ١٤).

ويؤكد الوهيبي[١٨] أن هذه الطرق والمناهج الخاطئة في التفكير ترجع إلى عيوب أخلاقية وسلوكية وتمسك أعمى بالمصالح الخاصة والأهواء والتعصب والشهوات، ولهذا تستمر مع أصحابها، وتتجدد في عناوين وأشكال وصور معاصرة لدى غير المؤمنين بالله. وهذه العيوب في طرق التفكير ليست من النوع المعروفي العلمي الذي يمكن إزالته من خلال الحجة والاقناع وطرح الأدلة والكشوف العلمية. يقول تعالى: { وَمَاتُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَيُؤْمِنُونَ} (يونس/١٠: ١٠١). {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ} (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} (الحجر/١٥: ١٥).

وإذا ما انتقلنا إلى أهم معالم المنهج الإسلامي القويم في الوصول إلى الحقائق والمعارف فإن (الوهيبي)[١٩] يحددها فيما يلي:

أولا: اعلاء الإسلام من قيمة العلم، وأول آية في القرآن كانت القراءة والتعليم، العلم المقرون باسم الله، {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} (العلق/٩٦: ١). وقوله تعالى: {... يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (المجادلة/٥٨: ١١). والعلم يستند بالضرورة إلى طرق صحيحة في البحث والفهم والإجابة عن التساؤلات.

ثانيا: تنبيه الإنسان إلى كل مصادر المعرفة التي وهبها الله للإنسان، ودعوته إلى استخدامها وتوظيفها للتعلم والفهم والتفسير والتنبؤ والانتفاع

بالمسخرات الإلهية وعمارة الكون وتطوير حياة الإنسان والمجتمعات وبناء المجتمع المسلم الذي يجب أن يكون هو الأقوى ماديا على مستوى كل عصر، ليسخر هذه القوة في خدمة الأهداف الإيجابية والعقدية المكلف بها من خالقه. فالسمع يوظف في معرفة خبر السماء وأحكام الدين والاكتشافات والاختراعات الناجمة عن الجهد البشري العقلي أو التجريبي، والبصر يقرأ به كتاب الله المقروء، ويعمله بحثا وملاحظة وقراءة في الكون والمجتمع وهو كتاب الله المنظور أو المشاهد. وهناك حديث القرآن المتكرر عن العقل والنهي والفؤاد وألباب، حيث يطالب الإنسان بإعمال عقله في الآفاق والنفس (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم... الآية)

يقول تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون} (الملك:) وقال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ {١٩٠} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (آل عمران/٣: ١٩١). وهذه المصادر تتضمن استخدام مناهج وأدوات الملاحظة والتجربة والاستنباط والتفسير والفهم والتحليل والتركيب...إلخ). وهذه هي أبرز آليات البحث العلمي.

ثالثا: التأكيد على انتظام حركة الكون وحركة المجتمعات وحركة التاريخ فالظواهر التي تدرس في العلم، وكل ما خلقه الله منظم ومتواتر وخاضع لقوانين.

وهذا ما يطلق عليه الوهيبي[٢٠] (الصياغة السنية العقلانية لظاهرة الوحي والظاهرة الإنسانية والكونية) والأصح أن نقول حقائق الوحي وظواهر الكون والمجتمع والتاريخ. يقول تعالى في إبرازه للصياغة السننية العقلانية لحقائق الوحي: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (محمد/٤٧: ٢٤) ويقول تعالى في مجال الصياغة السنية العقلانية للتاريخ {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} (الأحزاب/٣٣: ٦٢). وفي مجال السنن الاجتماعية يقول تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} ( ) وقوله تعالى: {...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...} (البقرة/٢: ٢٥١) وفي مجال السنن الكونية {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ...} ( )

ومن قوله تعالى: {...وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ {٢٧} وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...} (فاطر/٣٥: ٢٨)، وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك/٦٧: ١٥).

رابعا: التأكيد على قدرة العقل البشري من خلال قدراته على التحليل والتركيب وترتيب العوامل والأسباب في تسق للأولويات، وقدرته على وزن العوامل وترتيبها حسب أهميتها، وقدرته على الاستدلال بنوعيه ــ الاستقراء والاستنباط، وعلى فهم القوانين التي تخضع لها ظواهر الكون والمجتمع والتاريخ والإنسان. والإسلام يؤكد على أهمية الاستعانة بالحواس من خلال الملاحظات والتجارب واختبار الفروض. ويؤكد كذلك على أهمية الوصول إلى البرهان والدليل والحوار من خلال الحجج المقنعة. يقول تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...} (البقرة/٢: ٢٩). وكلمة (جميعا) تعني أن كل ما في الأرض مخلوق ومسخر للإنسان ومتفقا مع إمكاناته البيولوجية والعقلية والحسية، فهو السيد الأول في هذا الميراث الواسع فهو سيد الأرض وسيد الآلة وليس عبدا لها كما يزعم الماديون الذين يحقرون من وضع الإنسان ومن قيمته.[٢١] فهناك توافق معجز بين سنن الله في الكون والتاريخ والإنسان والحيوان والمجتمع... إلخ وبين قدرات العقل البشري لأن هذا الذي في الأرض مخلوق للإنسان. ويركز الإسلام على قضية البرهان والدليل والحجة. قال تعالى: { يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ...} (النساء/٤: ١٧٤) وقال تعالى: { ...قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة/٢: ١١١) (النحل: ٦٤).

خامسا: يوظف الإسلام مصادر المعرفة كل في المجالات التي يصلح لها ــ ويجعل الإسلام الوحي مصدرا معرفيا حاكما، وهو الذي يوظف المصادر الأخرى (الحس والعقل والقلب...) كل فيما يصلح له.[٢٢]

ويحدد (الوهيبي) هذا الأمر على النحو التالي:[٢٣]

ا. في حقل الأخبار: يعتمد على الوثائق المكتوبة والمضبوطة

يقول تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} (الحج/٢٢: ٨). وكذلك يعتمد على الآثار { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...} (العنكبوت/٢٩: ٢٠). وقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (الأنعام/٦: ١١)، والآيات على هذا كثيرة.

وقد حذر الله تعالى من جرائم تزييف الوثائق، خاصة فيما يتعلق بالوحي فهي أخطر الجرائم بالإطلاق { فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ

وَوَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} (البقرة/٢: ٧٩). كذلك فإن الإسلام يقر الاعتماد على خبر الثقة.[٢٤]

والإسلام يدعو إلى تمحيص الأخبار ورفض الأخبار الكاذبة: {لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ} (النور/٢٤: ١٢). كذلك يدعو إلى فحص وعدم قبول أخبار الفاسقين {... إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا...} (الحجرات/٤٩: ٦).

ب. في مجال الكونيات يؤكد الإسلام على مصادر الحس والملاحظة والتجريب والاستقراء — فقد طلب الله سبحانه من إبراهيم عليه السلام إجراء تجربة حتى يطمئن قلبه بالإيمان. {...قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (البقرة/٢: ٢٦٠). وعن أهمية المشاهدة وما يترتب عليها من إعمال العقل والاستنتاجات. يقول تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ {١٧} وَإِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ {١٨} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ {١٩} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} (الغاشية/٨٨: ٢٠).

ج. في مجال المعقولات والمنطق العقلي يؤكد الإسلام على المسلمات العقلية أو البديهيات التي يقرها العقل السليم. مثال ذلك قوله تعالى: { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء/٤: ٨٢). وقوله تعالى: {يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا} (مريم/١٩: ٤٢) وقوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...} (الأنبياء/٢١: ٢٢).

التأصيل والتوجيه لمناهج علم الاجتماع وضوابطه

يمكن تحديد المنهجية الإسلامية في دراسة الواقع الاجتماعي بأنها مجموعة الطرق والأساليب البحثية التي يستخدمها الباحثون في علم الاجتماع في دراستهم للظواهر والعمليات والقضايا الاجتماعية من أجل التحكم فيها وتوجيهها بما يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية. والباحثون في علم الاجتماع ينطلقون في اختيار موضوعاتهم وطرق بحثها وتحديد الأدوات وأساليب التفسير، من التصور الإسلامي للإنسان والتاريخ والكون والحياة وطبيعة المعرفة (من حيث مصادرها وأنواعها وحدودها وضوابطها...)، وينطلقون أيضا من إبداعات العقل البشري في مجال المناهج والأساليب الاحصائية، وفي مجال الدراسات الاجتماعية (نتائج الدراسات الواقعية السابقة والنظريات المطروحة في أدبيات العلم)، بشرط عدم تصادم أي من هذه الابداعات البشرية مع أصل من الأصول التي ثبتت بالكتاب والسنة والاجماع.

كل هذا يعني أن كل الطرق والأساليب والأدوات التي يستخدمها علماء الاجتماع في دراساتهم الواقعية، مثل المسح الاجتماعي والرجوع إلى التاريخ والاحصاء والتجريب ودراسة الحالة وتحليل المضمون، ومثل الملاحظة بأساليبها المختلفة (بالمعايشة الكاملة لمجتمع البحث، أو المحددة بفترات معينة، أو ملاحظة نتائج تجارب ومواقف طبيعية أو صناعية...) والمقابلة والاستبانات...إلخ، كل هذه الطرق والأساليب والأدوات، يستخدمها الباحثون المسلمون في دراستهم للواقع، وهم يستخدمون أيضا أساليب التحليل والمقارنة والنقد، كما يستخدمها سائر علماء الاجتماع. والنقطة الجوهرية هنا هي أنهم:

ا. ينطلقون من الوحي كمصدر حاكم للمعرفة والحقائق اليقينية وهو يوظف كل المصادر الأخرى. الحس والعقل والقلب...كل فيما يصلح له على النحو الذي وضحناه سابقا في هذا الفصل.

ب. توجيه الدراسات والبحوث الواقعية لخدمة الإسلام والمسلمين وبناء الإنسان المسلم الذي يعرف دينه معرفة صحيحة بعيدا عن الانحراف أو التطرف أو التعصب، والذي يؤدي رسالته الحضارية في عبادة الله بمفهومها الواسع، والانتاج وعمارة الأرض وبناء الأسرة القوية وتربية الأبناء الصالحون والدعوة إلى الله. وهذا يعني توجيه الدراسات لبناء المجتمع المسلم الذي يؤدي رسالته الحضارية الإسلامية (اعلاء كلمة الله ونشر الدعوة وتأمين سبلها ومحاربة طواغيت العصر وتحقيق كل جوانب القوة في المجتمع (الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية) حتى يكون المجتمع المسلم هو الأقوى إيمانا (بمعايير الإسلام)، والأقوى ماديا (صناعة وزراعة وتجارة وتعليما وتقنية وفي كل مجالات البحث العلمي والإعلام والترفية والأسرة والإدارة والصحة والرعاية الاجتماعية...إلخ) بمعايير العصر. وهذه المجالات الأخيرة تشكل مختلف مجالات أو فروع علم الاجتماع، كما تستغرق أهدافه كذلك (علوم اجتماع التنمية والصناعة والإدارة والتخطيط والمجتمعات المحلية...إلخ). وهذا بعض ما يفهم من قوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس... الآية) وقوله تعالى وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة.

ج. انطلاقا من الثوابت الإسلامية المنطلقات وكأسس لتفسير نتائج الدراسات الواقعية، وكأسس لمواجهة المشكلات والأزمات الاجتماعية، وكأسس لبناء القوة بمفهومها الشامل (الايمانية والمادية)، وانطلاقا من الاستفادة بنتائج الدراسات الاجتماعية في الغرب والشرق والاستفادة بما هو مطروح في الأدبيات العلمية من نظريات وأفكار وتقنيات مادية (كمبيوتر مثلا) أو تقنيات اجتماعية (أساليب إدارة وتخطيط وتنظيم ومحاسبة...إلخ)، بعد تنقيتها من كل ما يتصادم مع ثوابت الإسلام، أقوال انطلاقا من هذين

٥. فحص أدبيات علم الاجتماع بمدارسه ودراساته المتصارعة والمتنوعة، للتعرف على ما يمكن أن تقدمه من نفع في فهم ودراسة الواقع الاجتماعي بما لا يتعارض مع الأصول الشرعية.

٦. تشكيل إطار تصوري إسلامي للواقع الإجتماعي في ثباته وتغيره في صحته ومرضه، في دينامياته وعملياته الداخلية. وهذا الإطار يكون منطلقا للدراسات الواقعية، اعتبارا من اختيار مشكلة البحث حتى التفسير والاقتراحات، مرورا بوضع أو صياغة التساؤلات واختيار الأساليب المنهجية والأدوات المناسبة. ولا شك أن نتائج هذه الدراسات الواقعية سوف تنعكس على الإطار التصويري (الجانب الإجتهادي في هذا الإطار، وليس الجانب الشرعي الذي يتصل بالثوابت)، حيث يمكن أن تعدل أو تثري أو تضيف أو تعمق هذا الجانب الاجتهادي في الإطار التصوري للواقع.

٦. يتضح مما سبق أن الإطار التصوري للواقع الاجتماعي في المنظور الإسلامي يتألف من جانبين:

ا- **الجانب الشرعي** – متمثلا في الأسس والمعايير والضوابط والأخلاق العقدية والشرعية. وهذا هو الجانب الثابت المتفق عليه بين الباحثين المسلمين.

ب- **الجانب الاجتهادي** – المستمد من أدبيات علم الاجتماع ومن رؤية الباحث نفسه وقناعاته، ومن الدراسات الواقعية التي يجريها الباحث، أو التي أجراها غيره. وهذا الجانب ليس من اللازم أن يتضمن جوانب مذكوره أو متوافقة مع ما جاء بالقرآن أو السنة، وإنما يكفي ألا يكون متعارضا مع أصل شرعي فحسب، ويكون مناسبا للمجتمع المسلم ولثقافة المسلم، ويسهم في تحقيق أهداف الإنسان والمجتمع كما يراها الإسلام.

٧. هذا الجانب الاجتهادي من المنطلقات النظرية والدراسات الواقعية لعلم الاجتماع من المنظور الإسلامي، يستغرق ما يعرف في أصول الفقه بالمصالح المرسلة وهي تلك الأحكام التي يقصد بها تحقيق مصالح الناس والتي تتجدد بتجدد أحوال الناس، وتتغير بتغير الزمان والمكان والثقافات والظروف الاجتماعية. وهي المصالح التي تقتضيها البيئات والمجتمعات بعد انقطاع الوحي، ولم يشرع الشارع أحكاما لتحقيقها، ولم يقم دليل من الكتاب والسنة على اعتبارها أو الغائها.[٢٥]

٨. هذا الجانب لا يتطلب الاستناد إلى القرآن والسنة، وإنما يكفي فيه عدم التصادم مع نص ثبت بالقرآن والسنة، فهذين المصدرين يعنيان أكثر

البعيدين (ثوابت الإسلام ومنجزات علماء الاجتماع في العالم) ينطلق العقل المسلم ليبدع ويضيف في مجالات التنظير والمناهج والتطبيقات.

- تقويم الواقع بالأخلاق والضوابط الإسلامية في عمليات البحث العلمي وتوظيف نتائج البحوث. وهنا حديث طويل حول أخلاقيات الإسلام في مجال الملاحظة والمقابلة...إلخ. وفي مجال توجيه نتائج الدراسات لتحقيق الخير العام (مصالح عامة وليست خاصة) ولتحقيق المصالح الحقيقية (بالمعيار الإسلامي) وليست الوهمية، وتحقيق أهداف بناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح القوي، بل الأقوى ماديا على مستوى كل عصر، بما لا يتصادم في أي أصل الأصول الإسلامية.

كيفية تجديد المنطلقات الإسلامية النظرية والمنهجية في علم الاجتماع:

يتم تحديد المنطلقات الإسلامية التي يلتزم بها الباحث المسلم في علم الاجتماع من خلال الأمور التالية:

١. استخلاص الأسس العامة للإسلام ــ وهذا مما أفاض فيه المشتغلون بعلوم العقيدة والشريعة والحديث والتفسير والثقافة الإسلامية (التوحيد وأنواعه، نظرة الإسلام إلى الكون والمجتمع والتاريخ والإنسان والحياة والعلم والمعرفة...إلخ).
٢. استخلاص موقف الإسلام من القضايا التي يدرسها علم الاجتماع (الإنسان والمجتمع والعلاقات والنظم والجماعات و العمليات الاجتماعية كالتعاون والتنافس والصراع والتوافق ووظيفة كل منها في الحياة الاجتماعية وأسس التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسة والإدارية والعسكرية...، وعوامل التفكك والتكامل، والقوة والضعف، وعوامل استمرار القوة وعوامل تدهورها...، واستخلاص منهج الإسلام في فهم وتفسير ومواجهة المشكلات الاجتماعية (التربوية والصحية والأسرية والاقتصادية والسياسة... إلخ) واستخلاص التفسير الإسلامي للانحراف والأجرام، وأساليبه في مواجهتها ومكافحتهما...إلخ. واستخلاص موقف الإسلام في هذه القضايا التي هي موضوع الدراسة في علم الاجتماع، إنما يتم بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكل الدراسات التي قامت عليهما.
٣. تحليل دراسة العلماء المسلمين، سواء المباشرين بالنسبة لعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية كابن خلدون، أو علماء الإسلام عامة لاستخلاص أفكارهم واجتهاداتهم بشأن الموضوعات التي يدرسها علم الاجتماع.

بالقواعد الكلية العامة في أمور الدنيا، والإسلام يحترم العقل الإنساني والاجتهاد البشري في قضايا الواقع الاجتماعي وتنظيمه في إطار الكليات الشرعية. وهذا الجانب الاجتهادي الذي يتصل بالمصالح المرسلة واستثمار العقل والجهد البشري (البحوث العقلية والميدانية والرجوع إلى أدبيات العلم وتجارب الآخرين...إلخ) هو الأكثر التصاقا بموضوعات علم الاجتماع فهذه الموضوعات تدور حول الصناعة والإدارة والتنمية والتخطيط والعمران والتغير الاجتماعي والمجتمعات المحلية والمشكلات الاجتماعية...إلخ.

---

[1] Arter A. Carin and Robert B. Sand: Teaching Science through Discovery. Charles E. Merril Publising Co. 1988 p. 10

[2] B. Popper: Poverty of historicism: Routledge and Kagan Paul. 1957 pp. 58-9

[3] محمد محمد إمرزيان: منهج البحث الإجتماعي بين الوضعية والمعيارية. الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط. ٢، سنة ١٩٩٢، ص. ٢٦٠
وارجع إلى زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي ــ مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ط.٣، سنة ١٩٦١، ص. ٢٧

[4] المصدر السابق، ص. ٢٦١

[5] زكي نجيب محمود: جابر بن حيان. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ص. ٤٥.
وامرزيان ص. ٢٦١

[6] ريت ملز: الخيال العلمي الإجتماعي: ترجمة عبد المعطي الهواري: دار المعرفة الجامعية ١٩٨٧ ص. ١٤٤

[7] المصدر السابق ص. ١٤٥

[8] Alivin Goulgner: The Coming Crisis of Western Sociology: Heinman. London. N.y. Delhi. 1971

[9] نبيل السمالوطي: الأيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية. دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية، ١٩٨٨، ص. ٤٣

[10] C. R. Mills: The Sociological Immagination pp. 165-176

[11] G. Myrdal: The Relation between social theory and social policy: British Journal of Sociology. 1953 XXIIIm op. 242

[12] صلاح قنصوه: الموضوعية في العلوم الإنسانية: عرض نقدي لمناهج البحث، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٩٨٠م، ص. ٥٨ وما بعدها.

[13] كارل بوير: عقم المذهب التاريخي، الترجمة العربية، ترجمة د. عبد الحميد جبرة، منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٥٩، ص. ٤٥

[14] نبيل السمالوطي: الدين والتنمية في علم الاجتماع: دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية ١٩٩٢، الفصلين الأول والثاني.

[15] عبد العزيز الوهيبي: مسيرة المنهج وتشكيلاته في الفكر الإسلامي، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي بلندن، العدد ٨٢، نوفمبر ١٩٩٢

[16] سيد قطب، في ظلال القرآن: دار الشروق، القاهرة ١٩٩٢، المجلد السادس، ص. ٣٤٩٤

[17] الوهيبي، المصدر السابق، ص. ٣٦-٣٧

[18] المصدر السابق

[19] المصدر السابق، ص. ٣٩

[20] المصدر السابق، ص. ٤٠
ارجع للظلال لادراك بعض جوانب الاعجاز في التوافقات العجيبة في خصائص الأرض وما حولها للإنسان (الجاذبية والضغط والأكسوجين والتربة وسمك القشرة الأرضية ونسبة اليابس إلى الماء والسهول والجبال ودوران الأرض...إلخ) المجلد ٦، ص. ٣٦٣٧-٣٦٣٨

[21] المصدر السابق، المجلد الأول، ص. ٥٤

[22] المصدر السابق

[23] نبيل السمالوطي: الدين والتنمية في علم الاجتماع: مصدر سابق، الفصل الرابع.

[24] المصدر السابق، ص. ٤٢

[25] عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه: دار القلم، الطبعة الثامنة، دون تاريخ، ص. ٨٤ وما بعدها، وراجع أيضا صالح بن عبد العزيز آل منصور: أصول الفقه وابن تيمية: دار النصر للطباعة الإسلامية. شبرا مصر سنة ١٩٨٠. الجزء الأول ص. ١٩٩ وما بعدها.